﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾:

قارعة من قوارع التاريخ المتواصلة على المستهزئين برسل الله، إملاء ثم أخذاً ثم عقاباً فهم في تباب، وإنها تكفي معتبراً لمن يستهزءون بك يا حامل الرسالة الإلهية الأخيرة ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[1] فالأمثلة حاضرة حاذرة، وفي مصارع الغابرين عبرة بعد نظرة وإمهال، فأصمد على دعاية صارمة لرسالتك، ولا تكن من الآيسين ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[2].

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾:

إنه تعالى قيوم بنفسه سبحانه ولخلقه ككل، ﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ﴾ في نفسها فإنها قائمة به في كونها وكيانها و﴿بِمَا كَسَبَتْ ۗ﴾ روحياً أم مادياً في مثلث الزمان أياً كان وأيّان.

قياما على كل نفس بالقسط: ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾[3] في التكوين والتشريع والعطيات والجزاء، وقياماً في الحفاظ عليها: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[4] ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾[5] وقياماً لإحصاء مكاسبها خيرة وشريرة ليجازيها بها وكما هي تشهد كما صدرت لأصحابها: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٧.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦١.
(٥) سورة الرعد، الآية: ١١.

﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[١] والقيام المجرد يختلف عن القيام ﴿عَلَىٰ﴾ في معنى القيام، فليس هو الانتصاب والقيام بعمد[٢].

فهو - إذاً - قيام علمي وتكويني وحفاظي للأعمال بأصحابها.

وقد يعني قيامه على كل نفس - ككل - دوامه عليها دونما نعسة ولا نكسة. فـ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ كما الماء القائم هو الدائم الذي لا يجري، فالله تعالى دائم على كل نفس يجريها ولا يجري، قياماً ربوبياً قيومياً يحلّق على كل المتطلبات والحاجيات الخلقية لأولاها وأخراها.

فقيامه على كل نفس هو هيمنته عليها، وبما كسبت هو تدبيره لها، فلا يخرج من نفس خارج، ولا يفلت منها فالت عن قيامه عليها وقيامه بها فيما لها ومنها وإليها وعليها في كافة النشآت التي تعيشها.

أفهذا القائم الدائم تحق له الربوبية، أم الشركاء الذين جعلوا له، وهم لا يقومون على أنفسهم ولا بما يكسبون فضلاً عن عابديهم: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾[٣].

«و» هؤلاء الحماقى ﴿جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾: لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا نشوراً - ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ لأقل تقدير إذ لا يوجد لهم مسميات «أم» هي كائنة بأسمائها والله لا يعلمها وهي شركائه الذين جعلهم في زعمهم

---

(١) سورة الإنفطار، الآيات: ١٠-١٢.

(٢) نور الثقلين ٢: ٥٠٨ في في أصول الكافي علي بن محمد مرسلاً عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: اعلم علمك الله الخير أن الله تبارك وتعالى قديم - إلى أن قال -: وهو قائم ليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كبد كما قامت الأشياء ولكن قائم يخبر أنه حافظ كقول الرجل: القائم بأمر فلان والله هو القائم على كلّ نفس بما كسبت والقائم أيضاً في كلام الناس الباقي، والقائم أيضاً يخبر عن الكفاية كقولك للرجل: قم بأمر بني فلان أي اكفهم، والقائم منا على ساق فقد جمعنا الاسم ولم يجتمع المعنى.
وفي العيون رواه مسند متصلاً عنه عليه السلام مثله.

(٣) سورة يس، الآية: ٧٥.

شركائه ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من شركاء وأنتم تعلمون؟ «أم تنبئونه بِظاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ» بأسماء ليست لها مسميات.

كلا! فلا هناك في الكون مسميات الشركاء ولا أسمائها ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ في اختلاق الشركاء كما يهوون «و» بهذه الحجب الظلمانية بين الخلق والخالق ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ إذ حصروا العبودية للشركاء، أو الطاعة للطواغيت، فلم يبقوا لله مكانة في طاعة ولا عبودية، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ بما أزاغ قلبه حيث زاغ، وطبع على قلبه بعدما انطبع ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ أنهم لا يملكون لشركهم ولشركائهم أي برهان من هذه أو تلك، إذ لا يقول بها ذو جنّة، بل زين لهم مكرهم، فلا يهدفون من جعل الشركاء لله إلا الصد عن سبيل الله، أن ينشغل العباد بها عن الله، فيعيشون حياة الحرية اللّامبالاة، غارقين في حيونة الشهوات.

فهل القائم على كل نفس بما كسبت، لا يقوم على أنفس الشركاء بما كسبت - في زعمكم - من شرك في الربوبية، فهل هي تكسب ذلك المقام السامي إلّا بما يكسبه الله.. ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهو يعلم ما في السماوات وما في الأرض، ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ لا يملك باطناً وواقعاً من كائن الشركاء؟! وهل إن قضية الألوهية بلغت من التفاهة والهزل بحيث تتناول بظاهر من القول وليس له مدلول، وكل ما له مدلول سوى الله فقير إلى الله وقائم بالله! فهؤلاء الهمجيون الحيارى السكارى يكسبون بهذه الاختلاقة الجنونية عذاباً فوق العذاب:

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾:

ومن عذابهم في الحياة الدنيا ضمن ما تصيبهم من قارعة فيها، أو تحل قريباً من دارهم، هو جفاف القلب من ندى الإيمان، وحيرته دونما

اطمئنان، واضطرابه في كل آن ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ. . .﴾ مهما كان لهم هنا من واق ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾!

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾:

المثل هو الذي يمثّل الشيء توصيفاً يقربه أم نموذجاً من جنسه، وهو هنا التوصيف بأمور ثلاثة: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ﴾ لأنها ملتفة الأشجار من فوق والأنهار في أرضها جارية ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ لا يفتر ﴿وَظِلُّهَا ۚ﴾ دائم.

ودوام الظل هناك دليل دوام الشمس فلا ليل فيها، أم الظل الدائم في نهارها حيث يظل أهلوها في ظلها بعيدين عن حرّ الشمس ونفاذ نورها وأذى نارها، وطبعاً هي شمس الآخرة المخلوقة بعد تكور شمسنا هذه يوم قيامتها.

﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ﴾ إيماناً وعمل الإيمان، دون الذين آمنوا دون عمل، أم عملوا صالحاً دون إيمان، وإنما التقوى الجامعة لهما هي الكافلة لذلك الوعد الصادق الأمين.

إذاً فـ ﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ هنا كما يعني كفر العقيدة والعمل، كذلك يعني الكفر في كل مهما آمن بالآخر، ولا سيما كفر العقيدة حيث لا يصلح عمل في كفرها، مهما نجى تارك الصالحات بعقيدة الإيمان بعد عقبى النار في برزخه وعقباه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم عامة أهل الكتاب، التالين له حق تلاوته، العارفين به، سواء في ذلك كتاب الإنجيل أو التوراة أم أي كتاب محرف وسواه، حيث الحق متجلّ في كتابات السماء دون مرية، مهما دخل فيها الباطل بأيدي الدس والجهل.

هـؤلاء هـم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ لا ﴿أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[١] فإنهم لم يؤتوا إلا ما يؤتيهم علماءهم فمنهم صالحون ومنهم دون ذلك كانوا طرائق قدداً، وطبيعة الحال في إيتاء الكتاب علماً ودراسة هي الفرح ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ حيث الوحي قبيل واحد مهما اختلفت درجاته، فالعارف بوحي الكتاب يعرف حق الوحي في القرآن وزيادة فإنه مهيمن على الوحي كله.

فـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[٢] لأنهم ﴿. . . يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ . . .﴾[٣] فهم ﴿. . . يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾[٤] ﴿. . . وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[٥].

فهم - على أية حال - ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾ حيث يصدق ما أنزل إليهم، ويتجاوب معه في الأصول العقائدية والأحكامية، وتحمل بشارات بحق القرآن ونبيه، وذلك فرح التصديق بكله والإيمان به، مهما كان: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ﴾ وهم المتحزبون خلاف الحق ممن أوتي الكتاب، كالمحرفين الكلم من بعد مواضعه والتابعين لهم، إنكاراً للبعض الذي يشير أو يصرح ببشارات في كتابات السماء، والمصرح خلاف الاختلافات اللاهوتية الثالوثية في الإنجيل، أو الشركية التجسيمية في التوراة، وثالثة احكامية تعارض مخلفات الأحكام الكتابية، وإخباراتها بحق المرسلين وسواهم، ومنهم الأحزاب غير الكتابيين إذ لا يقدرون على انكار القرآن

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢١.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

كلّه، كما ومنهم من يؤمن به كله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ :

إن القرآن حكم في كافة الحقول، عربي واضح لا تعقيد فيه لدى كل العقول، فهو دون توجيه وتحميل يوافق وحي الفطرة كإجمال، ويوافق وحي الرسالة في كتاباتها كتفصيل، دون حاجة إلى لزق التوجيهات غير المتحمّلة، أو لصق البراهين الخارجية، فإنه في نفسه حجة عربية لا ريب فيه، ولا شبهة تعتريه.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٧.

فالقرآن كله حكم منزل، يعم الأحكام الفطرية والعقلية والفرعية الشرعية، لا تجد فيه آية إلّا وتحمل حكماً أو أحكاماً عربية: واضحة لائحة لدى العقول الصافية، لا تعقيد فيها، لا في التعبير لمكان الفصاحة القمة وبلاغتها، ولا في المعبّر عنه لمكان التجاوب والملائمة التامة مع الفطر والعقول والواقعات والمتطلّبات.

فلا يعني من ﴿حُكْمًا﴾ فقط الأحكام الفرعية، ولا من ﴿عَرَبِيًّا﴾ عربية اللغة، حتى ينبري المبشر الانجيلي قلائلاً أنه يختص بالعرب دون سواهم، فالحكم هو كل حكم، والعربية هي كل واضحة لائحة، فقد يكون الحكم عربي اللفظ في اللغة، والمعنى معقّد، أم عربي الدلالة والمعنى مبهم لدى العقل والفطرة، أم عربي المعنى دلالة ومدلولاً ولكنه معقد في التصديق أو التطبيق، فالحكم الذي لا تعقيد فيه دلالة ومدلولاً وتصديقاً وتطبيقاً هو العربي المطلق المطبق، وكذلك القرآن ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1]! أجل ولا تجد آية طيلة الرسالات الإلهية، عبر آياتها الرسالية، أعرب من آية القرآن وأحكم، لحدّ تعتبر الآية الوطيدة، غير الوهيدة، آية كافية وافية لمتطلبات الآيات وزيادة هي رمز الخلود لمن يستقبلونها طول الزمان حتى القيامة الكبرى، كما كانت لمن مضى.

كما وأنه الحكم كلّه وكلّ الحكم، حكم الآية التكوينية كآية الرسالة الختمية، على كونه حكم الآية التشريعية كمادة الرسالة في الأصول الأحكامية وفروعها، وفي كافة الأقضية على مختلف الحقول الفردية والجماعية، السياسية والاقتصادية، الثقافية والحربية أماهيه من أحكام تربط فصالات المجتمعات أو الأفراد، وهو - ككل - حكم قيادي يقود كافة المكلفين في دولة مباركة واحدة بزغت منذ الدولة الإسلامية في المدينة

(١) سورة الرحمن، الآية: ١٣.

المنورة رغم العراقيل التي حالت دون شمولها، وسوف تشمل العالم كله إرغاماً للعراقيل كلها زمن القائم المهدي من آل محمد ﷺ. ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾[1].

أفبعد ذلك الحكم العربي الكامل الشامل يبقى مجال لاتباع الأهواء من الذين أوتوا الكتاب أمن سواهم، مسايرة معهم لكي يوافقوا على القرآن ويصادقوه؟

ويا لذلك التهديد الظاهر الصارم ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ من تحديد لموقف القرآن العظيم ورسوله النبي الكريم، أنهما خالدان عبر الأعصار والأمصار، دونما غيار باي عيار، فلا تسامح ﴿بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[2] في أي تحوير وتغيير، وحتى لو كان من الرسول ﷺ ولن! حيث الولاية الكافية والوقاية الوافية لا توجدان إلّا في ذلك الحكم العربي لا سواه.

ففي حكم القرآن العربي تجد الولاية المطلقة، والوقاية المطلقة، النازلة من منزل الوحي إلى منزله ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾[3].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾ تحقق - في تأكيدين - السنة الدائبة الرسالية للرسل كافة أنهم بشر مثلنا فلا يملكون شيئاً من غيب الله وحياً وآية رسالية إلا ما أذن الله، فليأس الناس المتعنّتين على الرسول أن يأتي بآية كما يشتهون، حيث الآية الرسالية غيب كما الوحي غيب: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ

(١) سورة غافر، الآية: ١٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٥.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٧.

إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾[١] ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢] وليست الآيات تتشابه إلّا في مدلولاتها دون صورها وأبعادها، فلا ينزلها الله إلا في آجالها المكتوبة لها كما تقتضيه الحكمة الرسالية، فـ ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ من آجال الرسالات وسواها ﴿كِتَابٌ﴾ مرقوم رقمه الله، وحياً وآية لرسالته، كما أن ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣].

فكل أمة رسالية لها أجل طال أم قصر كما حدده الله، وأجل الأمة الإسلامية أجل الكون كله وهو القيامة الكبرى، ولكل أجل كتاب يرسم شرعته وحياً هو الشرعة، وآية رسالية تثبت الشرعة، وكما ليس الشرائع شرعة واحدة إلا في جذورها وهي الدين الواحد، كذلك آياتها ليست واحدة إلا في مدلولاتها وهي إثبات وحي الشرعة.

فكتاب كل أمة وحياً وآية الوحي يناسب أجله طوله التاريخي وعرضه الجغرافي، وكتاب الأمة الإسلامية يجاوب في خلوده أجلها حتى القيامة الكبرى عبر الأمصار والأعصار، فلا كتاب يحق له إلا كتابه الذي جمع وحيه وآية وحيه، كتاباً منقطع النظير عن كل بشير ونذير، مهيمناً على ما بين يديه من كتاب، ومتقدماً على تقدم الزمن بكل عقلية وعلمية بارعة، بل هو أمام العلم وإمامه، ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾! فلا يملك آجال الأمم وكتبهم إلا الله دون رسل الله ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ دون تخويل له أن يأتي بها كما يشاء، ولا تعطيل ألّا يأتي الله بأيّة آية، فإن فيه

(١) سورة يونس، الآية: ٢٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٩.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.